Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 30/ No. 10/ 2022 المجلد 30/ العدد 10/ 2022

الآخر: الشرق في سياقات التثاقف في الفكر الاجتماعي الحديث

ناظم جواد كاظم
علم الاجتماع / الآداب / بابل / العراق
Nathim-kadhim55@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 27/7/ 2022 **تاريخ قبول النشر: 1 / 9 /2022** **تاريخ نشر البحث: 16/ 10 /2022**

المستخلص:

تعد ظاهرة الآخر المختلف من الظواهر الاجتماعية التي حظيت باهتمام علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا لأنها من افرازات عملية التثاقف والاتصال بين الحضارات المختلفة، وعلى الرغم من تعدد أنواع هذا الآخر إلا أنه بحكم الإطار النظري والمنهجي لعلمي الاجتماع والأنثروبولوجيا فقد ركزا الاهتمام بالآخر المختلف كلياً حضارياً وثقافياً عن (النحن الجماعية) لأن تثاقف واتصال الحضارات الإنسانية مع بعضها لا يعني أن هذه الحضارات متساوية مع حيث درجة التطور والنمو، بل إنها محتفلة ومتباينة مع بعضها، إن هذا التباين والاختلاف في درجة تطور كل حضارة يسهم في خلق إشكالية تباين النظرة للآخر المختلف (أمة – شعب – حضارة) إن وجود النظرة للآخر المختلف يخلق نوعاً من التصورات والأطر الفكر والأيديولوجية التي تؤسس لقوالب نمطية تعزز الشعور ب (نحن الجماعية) وان هذا الشعور بالنحن الجماعية يُعد شرطاً اساسياً لوجود الآخر المختلف حضارياً وثقافياً.

إن التثاقف والاتصال بين حضارة الغرب والحضارات الشرقية في المجالات المختلفة قد أفرز إشكالية تقوم على فروق واختلافات كبيرة بين الآخر الشرق المختلف كلياً وبين حضارة الغرب، إن مثل هذه الإشكالية قد أسس لها الفلاسفة اليونانيين القدماء من إبقراط إلى أفلاطون وأرسطو وعضدها وتبناها فلاسفة الرومان ومفكرو عصر الحداثة من موتسكو وهيكل وكارل ماركس وانجلز وفيتفوغل وبارنس.

إن الحصيلة الفكرية التي انتجتها عقول الفلاسفة اليونانين والرومانين القدماء والمفكرين والعلماء منذ عصر الحداثة إلى يومنا هذا عن علاقة (النحن) الغرب بالآخر الشرق قد بلورت عدد من الانطباعات والتصورات والخصوصيات التي ساهمت في خلق قوالب نمطية تؤكد عبقرية الحضارة الغربية وتفوقها وقدرتها على السيطرة والقيادة وتضع من شأن الحضارات الشرقية وتسعى لتقزيم دورها وإظهار فشلها وعدم قدرتها على التطور والنمو بحيث أصبحت هذه الأطر الفكرية والتصورات تأخذ طابع الحقائق العلمية التي لا يمكن رفضها أو قبول الشك فيها.

الكلمات الدالة: الآخر، الشرق، التثاقف، فكر اجتماعي

The Other: The East in the Acculturation Contexts in Modern Sociological Thought

Kadhim Jawad Nathim
Sociology / Art / Babylon / Iraq

Abstract

The phenomenon of the different other is considered the social phenomenon that has received the attention of sociology and anthropology because it is one of the secretions of the process of acculturation and communication between different civilizations. Collectivism) because the acculturation and communication of human civilizations with each other does not mean that these civilizations are equal together in terms of the degree of development and growth, but rather that they are different and (differentiated with each other . Civilization) The existence of a different view of the other creates a kind of

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

perceptions and frameworks of thought and ideology that establish stereotypes that enhance the feeling of we are collective, and that this feeling of collective we are a prerequisite for the existence of the other , who is different in civilization and culture .

The acculturation and the communication between the Western civilization and the Eastern civilizations in the various fields has resulted in a problem based on the fact that there are great differences and differences between the completely different East and the Western civilization . Such a problem was founded by the ancient Greek philosophers from Hippocrates to Plato and Aristotle and supported and adopted by the Roman philosophers and thinkers The Modernism of Motsko. Heckel, Karl Marx, Engler, Wittvogel, and Barnes .

The intellectual output produced by the minds of the ancient Greek philosophers , thinkers and scientists from the era of modernity to the present day about the relationship (we) the West with the other , the East has crystallized a number of impressions , perceptions and peculiarities that contributed to the creation of stereotypes that confirm the genius of Western civilization , its superiority and its ability to control and lead . Eastern civilizations seek to dwarf their role and show their failure and inability to develop and grow, so that these intellectual frameworks and perceptions have taken on the nature of scientific facts that can be rejected or doubted .

Key words: The Other, The Eastint, Acculturation , Social Thought

1-المقدمة:

لا شك في أن الحضارات الإنسانية لم تظهر جميعها في مدة زمنية واحدة، وإنما ظهرت في مراحل زمنية متباينة، بحسب توفر الظروف والعوامل التي تشجع على ظهور هذه الحضارة أو تلك. ومن هذه العوامل هي الجغرافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعقلية فضلاً عن عامل التثاقف والاتصال الحضاري بين هذه الحضارات الذي يأخذ وجوه عدة، ومن وجوه التفاعل هذه هي التفاعل الإيجابي المعنوي (عبر التفاعل الفكري والثقافي) أو عن طريق التفاعل المادي (عبر التجارة ونقل وتصدير البضائع والتقنيات ووسائلها) أو قد يكون هذا الاتصال سلبيا (عن طريق الحروب والنزاعات والاحتلالات)، إن عملية التثاقف والاتصال الحضاري تسهم في جعل أي حضارة مهما كانت درجة تطورها ونموها ، هي حضارة لابد أن تكون للحضارات الأخرى بدرجة ما أثر في نموها وتطورها. إن وجود أي حضارة في السيرورة التاريخية ومهما كانت درجة تطورها لا بد من أن يتشكل لديها لشعور (بالنحن). وإن هذا الشعور بالنحن الجماعية يعد شرطاً أساسياً لوجود (الآخر) المختلف حضاريا وثقافياً، فلآخر مرحلة تأتي بعد النحن المختلف كلياً عن هذا الآخر سواء كان (حضارة – أمة – شعب – دولة) إن السيرورة التاريخية للعلاقة بين الحضارة الغربية والحضارات الشرقية قد أفرزت هذا الشعور بالنحن الجماعية في الحضارة الغربية اتجاه الآخر المختلف الشرق إن هذه النحن الجماعية الغربية قد بنيت على مجموعة من التطورات والاطر الفكرية والمعايير التي اخذت طابع الحقائق العلمية وقد أسس لهذه التطورات والاطر الفكرية الفلاسفة اليونان منذ ما قبل سقراط وصولاً إلى سقراط وأفلاطون وأرسطو واستمر البناء على هذه التطورات والاطر الفكرية في عصر الحداثة من مونتسكيو وهيكل وكارل ماركس وفينفوغل وبارنس ونظرة لأهمية الموضوع وقيمته العلمية من الكشف عن الأنوية الحضارية التي أسست لثقافة الهيمنة وادعاء التفوق على الحضارات الأخرى. ونظرا لأهمية الموضوع تم اختياره مشكلة للبحث .ومن هنا فإن هذا البحث ينقسم إلى ستة مباحث هي: أولا المقدمة، وثانيا عناصر البحث الأساسية ويتضمن مشكلة البحث وأهميتها وأهدافها، فيما جاء الثالث الذي يحتوي على تحديد المصطلحات والمفاهيم، أما الرابع فيتضمن نبذة تاريخية عن تطور فكرة الآخر

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الشرق في الفكر الغربي، أما المبحث الخامس فيتكون من المعايير المعتمدة في سياقات التثاقف للتمييز بين الغرب والآخر الشرق، أما السادس فيتضمن الخاتمة.

2- عناصر البحث الأساسية

2-1-مشكلة البحث: تعد مسألة التثاقف والاتصال بين الحضارات من المسائل المعقدة والشائكة التي استأثرت باهتمام علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا؛ لأن الإنسان وجد على وجه البسيطة ليتفاعل ويتواصل مع أخيه الإنسان، لا ليتقاطع ويختلف معه، وقد أثبتت السيرورة التاريخية لعملية التثاقف والاتصال بين الحضارات بأنها تتميز بالديمومة ولاستمرارية إلا أن هذه الديمومة والاستمرارية لا تعني أنها تسير على وتيرة واحدة فقد يمر هذا التثاقف بمرحلة قوة وانتعاش وازدهار أو قد يمر بمرحلة ضعف وانكماش ومهما كانت وتيرة هذا التثاقف والاتصال قوية كانت أم ضعيفة فإنها لابد أن تتضمن أحد وجوه هذا الاتصال والتفاعل كالتثاقف الفكري والثقافي والعملي والتربوي والاجتماعي والديني والاقتصادي والتقني والسياسي وإذا كانت عملية الاتصال أمرا لابد منه وأنه يحقق الفوائد للطرفين، إلا أنه لا يخلو من الإشكاليات والصعوبات التي يثيرها التثاقف والاتصال, وقد رصد علم الاجتماع عددا من هذه الإشكاليات ومنها إشكالية الآخر المختلف في عملية التثاقف بمعنى أن وجود الآخر المختلف سواء كان (حضارة- أمه- دولة- شعب) يخلق الشعور بالنحن الجماعية اتجاه هذا الآخر المختلف حضاريا وثقافياً وإثنياً (عنصريا) لقد تجلت هذه الإشكالية في السيرورة التاريخية لمسيرة التثاقف بين (حضارة الغرب) والآخر الشرق منذ الفلسفة الإغريقية عند أبوقراط وأفلاطون وأرسطو وصولاً إلى عصر الحداثة منذ مونتسكيو وهيكل وكارل ماركس وانجلز وفيتفوغل وبارنس وتقوم هذه الإشكالية على خلق نماذج من التصورات والآراء والأفكار والصور الذهنية التي تجعل حضارة الغرب أعلى وأسمى وأرفع من حضارات الشرق التي تعد بأنها أدنى وأقل شأناً من حضارة الغرب وقد أسسوا هذه الأفكار والتصورات على عدد من المعايير التي تحط من شأن الحضارات الشرقية وتقزم دورها للمساهمة في بناء الإنسانية .

2-2- أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في التعرف على الإشكالية التي تثيرها مسألة التثاقف والاتصال بين الحضارات لأن مسيرة هذا التثاقف بين الحضارات ساهمت في خلق حالة الأنوية الحضارية التي يتميز بها الفكر الغربي اتجاه الآخر الشرق المختلف حضاريا وثقافيا عنه، إن أيديولوجية الأنوية الحضارية الغربية هي محاولة لتحريف الواقع لأجل مقاصد ذاتية تعتمد على تحديد خصائص وصفات للاخرالشرق بعيدة عن الموضوعية كاللاعقلانية والاستبداد وجمود التنظيم الاجتماعي وغيرها، إن مثل هذه الصفات تحدد علاقة الغرب بالآخر الشرق على قاعدة الغالب والمغلوب، وإن هذا الغالب الغربي يعد قوة فعالة في تغيير مسارات الأحداث.

2-3- أهداف البحث: تسعى مشكلة البحث إلى تحقيق الأهداف الاتية

2-3-أ- إن مسألة وجود الآخر الشرق المختلف كلياً عن(النحن) الجماعية حضارة الغرب مسألة نقوم على بناء أطر فكرية وتصورات أيديولوجية لاستبعاد الآخر(الشرق) باعتباره حضارة غير متكافئة مع حضارة الغرب.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

2-2–ب– تحديد أهم الأسس والمعابير التي اعتمدها الغرب في بناء تصوراته الفكرية وأطره الأيديولوجية في تقزيم حضارة الشرق وجعلها أقل شأناً من حضارة الغرب

2-2–ج– إن الآخر الشرق يعني اختراعاً غربياً تم التأسيس له منذ بزوغ شمس الحضارة الغربية وإلى عصرنا الحاضر، لأجل تحقيق أهداف سياسية واقتصادية.

4-3– تحديد المصطلحات والمفاهيم

3-4-1–الآخر

الآخر: بفتح الخاء احد الشيئين وهو اسم على افعل [1]؟ من جنس واحد [2].

ويرى ابن منظور في لسان العرب الآخر. بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب آخر وأصله أفعل من التأخر[3]

ويعرف معجم لالاند (Lalande) الآخر بأنه أحد المفاهيم الأساسية للفكر التي يصعب إيجاد تعريف محددها، لذلك يمكن اعتباره مفهوم مضاد لما هو نفسه، ونعبر عنه أيضاً بعدة ألفاظ (كالمختلف) أو (الطغاير) أو (المتميز). [4]

أما طاهر لبيب فيعرف الآخر: بأنه مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية، والسلوكية التي يناسبها فردها أو جماعة، أو مجتمع إلى الآخرين. وإن من الصعوبة البحث في مفهوم الآخر، إن الآخر يتمثل في أكثر من بعد، وإن كان يربطه رابط مشترك واحد بأن ليس الذات أو الأن، فهو تارة يعني الآخر اللصيق والحميم (أنت) الوالدين، واحيانا يعني الآخر الجمعي أو الجامعي القريب (نحن)هذا الآخر هو العدو أو الصديق. [5]

أما الآخر فيعرف في علم الاجتماع تعبيراً عن العقيدة والاختلاف في تكوين سلوكيات الفرد ودوافعه الاجتماعية، وقد استخدم لفهم المنهجية التي بها تستثنى المجتمعات بعض الفئات على أنها من الآخرين، ومن هذه الوجهة يكون الآخر هو المختلف في الجنس، أو الانتماء الديني، أو الفكري، أو العرقي. [6]

3-4 -2-الشرق:

الشرق لغةً: شرق: شَرَقَتِ الشَّمْسُ تَشْرُقُ شُرُوقًا وَشَرْقًا: طَلَعَتْ، وَاسْمُ الْمَوْضِعِ الْمُشْرِقُ.[3]

ش ر ق –(الشَّرْقُ – الْمَشْرِقُ) وَهُوَ أَيْضًا الشَّمْسُ. يُقَالُ: طَلَعَ الشَّرْقُ. وَ(الْمَشْرِقَانِ) مَشْرِقَا الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ.[1]

الشرق: يعني من وجهة جغرافية، مصطلح مترجرج، ومبهم أيضاً. ففي كل بلد شرق[7]. إن مصطلح الشرق أو المشرق (orient) ومثله الشرق الأدنى (Naneosten) الدال على الإطار المكاني نفسه تقريباً – ليس ذا دلالة جغرافية طبيعية، ومن ثم فهو يفتقر إلى تحديد جغرافي واضح.

يشمل الشرق – حسب استخدامنا اللغوي – مناطق آسيا الجنوبية الغربية (الأمامية) بما فيها إيران ومصر ويشكل البحر الأسود وجبال القوقاز وبحر قزوين في الشمال، والمحيط الهندي في الجنوب الشرقي حدوده الطبيعية. أما حدود الشرق مع مناطق الحضارات المتاخمة فقامت في مجال البحر المتوسط وشمال شرقي أفريقيا وشرقي إيران فإنها لم تكن دائماً الحدود نفسها مع حضارات المتوسط ومن بَعْدُ الغرب ومع حضارات آسيا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الداخلية والهند وأفريقيا. ففي العصور الوسطى كان الإسلام القوة السائدة في الشرق. وتجاوز حدوده مرات عدة، بينما لم تكن في مناطق الشرق القديم قبل العصر الهلنستي قوى مهيمنة متشابهة؛ لأن الفروق بين حضارات هذه المنطقة – رغم وجود أمور مهمة مشتركة فيما بينها – كانت كبيرة، وكانت الحدود بينها غير ثابتة.[8]

أما الشرق من وجهة نظر حضارية فهو متغير يتغير بتغير الأمم فاليوناني قبل الاسكندر كان يطلق على الصين، وفي الفلسفة الوسيطة أو التاريخ الوسيطي الأوربي، كان ذلك المفهوم يشمل الديار الإسلامية، ثم ظهور التقسيمات مثل الشرق الأقصى الأدنى. [7]

3-4-3- **التثاقف:**

التثاقف لغةً: ثقفَ ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفاً وثِقافاً وثُقُوفةً: حَذَقَه ورجل ثَقْف وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِم، وأَتبعوه فقالوا ثَقْفٌ. ويقال: ثَقِف الشيءَ وهو سُرعةُ التعلم ثَقِفْتُ الشيءَ حَذَقْتُه..وثَقِفْتُه إذا ظَفِرْتَ به [3]

التثاقف العملية التي تنتقل بها الثقافة خلال اتصالات مستمرة ومباشرة بين جماعات ذات ثقافات مختلفة.[9]

ويلغى التثاقف استجابات مختلفة تبعاً للظروف ومن ذلك:

1–القبول: ويقصد به استعارة الجانب الأكبر من الثقافة الجديدة وتمثل كل من أنماط السلوك والقيم الداخلية لهذه الثقافة.

2–التكييف: وهو أحكام العنصر الثقافي الذي تم قبوله لكي يتواءم مع نظائره في ثقافة المستغير المتوارثة. وقد تكون النتيجة النهائية هي التمثل (تكيف من جانب واحد) أو الانصهار الثقافي (التكيف المتبادل).

3–رد الفعل وهي الحركات الشعبية. [9]

إن مصطلح التثاقف الذي كان (جون باول) أول من استعمله يعود إلى المفردات التي استعملها الأنثروبولوجيون في شمال أمريكا في نهاية القرن التاسع عشر، وفقاً لما يقول (روبرت ريدفيلد). إن التثاقف يدل بشكل أشد جوهرية على العمليات والتغييرات التي تسببها التفاعلات، أو الاتصالات المباشرة والمستمرة القائمة بين مجموعات إثنية مختلفة، التي تحدث إثر اجتياح، أو استعمار، أو هجرة، وسواء تعلق الأمر بالتبادل، أو بالاقتراض، أو بالتوفيقية، أو بإعادة التأويل. [10]

ويعرف قاموس الأنثروبولوجيا التثاقف بأنه تأثر حضاري، تبدل حضاري يحدث نتيجة لاحتكاك متصل أو طويل الأمد بين حصار متبايسي المستون. وقد يكون التأثر مقتصر على إحدى الحضارتين، وقد يكون متبادلاً، فتوثر كل واحدة في الأخرى، دون أن تندمجا في حضارة واحد ويستعمل هذا المصطلح في الكتابات الأنثروبولوجيا الامريكية، ويقابله في الكتابات الإنكليزية مصطلح اتصال حضاري. [11]

أما موسوعة علم الاجتماع فتعرف التثاقف بأنه تبدل لون حضاري يحدث نتيجة لاحتكاك متصل أو طويل بين حضارتين متباينتين المستوى. وقد يكون التأثر مقتصرا على إحدى الحضارتين، وقد يكون متبادلاً، فتؤثر كل واحدة في الأخرى، دون أن تندمجا في حضارة واحدة.[12]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

4-3 -4- فكر اجتماعي:

فكر الإنسان عن علاقاته والتزاماته نحو رفقائه. وقد نطق الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع عند تقدمت مناهج البحث ووصل إلى النظرة الموضوعية.[9]

ويعرف الفكر الاجتماعي بانه الجهد العقلي الاستقصائي الذي يؤكد على إعادة تصوير الوسط الاجتماعي الذي نمت وتكاملت ضمنه الحقائق الاجتماعية مهتمة بتلك العلاقات التي ربطت بين الإنسان ومجتمعه بوصفه فرداً أو جماعة أو مؤسسة وما تعرضت له عملية الربط من ترابط تم بشكل صيغ ضابطة أو ضاغطة تمثلت بالموروث الثقافي السلوكي الذي تأثر بما وقف ضده من صد تغييري.[13]

5 -4-3- الحديث (الحداثة)

بدأ العصر الحديث تقريباً ممن القرن السادس عشر وساهمت أحداث كثيرة وكبيرة في تغيير أوربا في المدة الزمنية الممتدة من مصطلح القرن الخامس عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر الميلادي، بدءاً من سقوط القسطنطينية عام 1452م وسقوط إسبانيا المسلمين (الاندلس) واكتشاف الأمريكيتين عام 1492م، حركة الإصلاح البروتستنتي لمارتن لوتر عام 1517م تؤرخ المرحلة الحديثة في إنجلترا إلى بداية مدة ثيودور مع انتصار هنري السابع على ريتشارد الثالث في معركة بوسورث 1485م.

إن التاريخ الأوربي الحديث يُنظر له عادة من الفترة الممتدة من مصطلح القرن الرابع عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي، ويمر ويمر بعصر المنطق وعصر التنوير في القرنين السابع عشر الميلادي والثامن عشر الميلادي أيضا حتى بداية الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. [14]

4-نبذة تاريخية عن تطور فكرة الآخر الشرق في الفكر الغربي:

إن موضوعة الفكرة الاوربية عن الآخر الشرق لها امتدادات بعيدة في سيرورة الحضارة الغربية الأوربية وبالتحديد من أصلها اليوناني القديم، فتاريخ الفكر الغربي كما يعتقدون الغربيون انه يبدا في الواقع إلى حدٍ كبير بالإغريق لأنهم أول من استخدام العقل بطريقة جديدة نفلت النظر[15] فالغرب كان ضد الإغريق والرومان حتى اليوم يرى نفسه معدن الحضارة ومركز العالم والجدير بالسيطرة والتفوق، ويرى نفسه السيد والشعوب الأخرى همجاً وبرابرة أو حتى رفيقاً ولقد تمكنت نظرة الاستعلاء هذه في الإنسان الغربي حتى أصبحت بمثابة الغريزة المركوزة أو الجبلة الثابتة. وقد يسوغ لهم بعض كبار فلاسفتهم من لدن أفلاطون وأرسطو [16] وعدد بالغ من الفلاسفة والأدباء الذين قبلوا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب، باعتبار نقطة انطلاقاً لوضع نظريات مفصلة وانشاء ملاحم وكتالة روايات واوصاف اجتماعية ودراسات سياسية عن الشرق، وعن آهله وعادته وعن عقله ومصيره، إن هذا الفهم الذي اتخذه الغرب شعاراً له في دراسة العالم الشرقي. بل إنه شعار يقوم على تمييز أساسي بين عالمين مختلفين لكل منهما مميزاته الخاصة التي تميزه عن الآخر ونتيجة هذا التمييز هو أن دراسة الشرق تختلف عن دراسة الغرب، فالغربي الذي يدرس العالم الشرقي يشكل له الشرق عالماً مخالفاً ومختلفاً عنه في الديانة والثقافة [17].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

إن هذه النزعة تصور لنا وجود عالميين يبدوان كقطبين منفصلين وإن لكل عالم وجوده الخاص، وتبعاً لذلك تختلف مستوى الثقافة والقيم والحضارة بين العالميين، وإن هذا الاختلاف يقوم على مبادئ ثابتة ودعائم مطلقة.[17]

ولقد حاول فلاسفة اليونان القدماء تقديم سند فلسفي للنزعة الغربين المتعصبة المستعلية اتجاه الآخر الشرق فقد ذهب الفيلسوف أبيوقراط (460–370) ق.م إلى أن كيف للقوانين الطبيعية أثرا في أخلاق الشعوب وعزا التكاسل للآسيويين إلى سلوكيات والحكومات المستبدة التي كانت ترهقهم[18] وقد حاول الفيلسوف أفلاطون (428–347) ق.م أن يكرس هذه النزعة في كتابه (الجمهورية) وهو من أهم ما كتب إن لم يكن الأهم: أليس من الدقة أيضاً أن تقول أن الشعوب اليونانية تجمعها رابطة القرابة ووحدة الأصل وتختلف عن البرابرة في الجنس والدم[16].

أما الفيلسوف ارسطو (384–322) ق.م. فقد قسم المجتمع إلى أحرار وهم اليونانيين والأرقاء وهم من كانوا من غير اليونانيين، أي من البربر وهؤلاء البربر الذين لا يملكون أنفسهم ولا يتمتعون بأية حقوق مدنية باعتبارهم من الآلات الصماء التي تخدم كما تخدم الدواب[19].

فالآخر المستبعد عن الفيلسوف ارسطو هو الغريب الذي لم يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشاركة اليونانية، ونتيجة لذلك أصبح البربري هدفاً للمطاردة أي أصبح عبداً[20] ويضيف أرسطو شعوب آسيا التي يعوزها القلب ويقون تحت نبر استعبا [18]وعزا أرسطو التكاسل العامل للأسيويين إلى الملكويات والحكومات المستبدة التي كانت ترهقهم 18]. إن مثل هذا التقسيم فيه نوع من الأنانية الحضارية إذ إنه يغمط الجهود الفكرية لمفكرين آخرين ظهروا في الشرق الأدنى والوطن العربي بالذات إن لم ينسحب هذا على مفكري ظهروا في الهند والصين وبلدان الحضارات القديمة.[13] إن نظرة الاستعلاء هذه استمرت عند الرومان وكان يسمون غير الرومانيين بالأعاجم والبرابرة وكانوا يضمنون تلك الكلمة كثيراً من الاستخفاف والازدراء مع أن من الأمم الأجنبية من كان يضاهيهم أو يفوقهم ثقافة وحضارة كالآشوريين والمصريين والفنيقين[21].

إن هذا الفهم الذي اتخذ الغرب شعاراً له في دراسة الآخر العالم الشرقي قد عضدته مرحلة فكر الحداثة منذ القرن السابع عشر وبدا منذ مساهمات مونتسكيو وهيكل وكارل ماكس وفيتفوغل وعالم الاجتماع الأمريكي يارنس. إن جميع هؤلاء الفلاسفة والمفكرين قد تبنوا فكر الآخر الشرق المختلف كليا عن حضارة الغرب فقد سعى مونتسكيو (1689– 1755) إلى تبني الكليشمات والصور النمطية التي تتحدث عن الاستبداد الشرقي التي ذكرها في كتابه (رسائل فارسية) و(روح القوانين) وما يتردد فيها من تعبيرات بـــ (التعصب) والفساد والفظاظة المتقنة والجمود وانعدام العقلانية والعنف الدموي الاعمى.[22] وإن الحرية السياسية أمر غير معروف في الشرق [23] وكما تعرف ان هذه النعوت قد لقيت من يرددها حتى الشبع وانها أصبحت تشكل جزءاً من المواضيع الفكرية في الفكر السياسي الاجتماعي الأوربي في القرن التاسع عشر [22].

إن في مثل هذا المناخ المشبع بفكرة الآخر الشرق ظهر الفيلسوف الألماني هيكل (1770–1831)م الذي اعتاد قاعدة عامة النظر إلى الشرق باعتباره كياناً، راكداً، مقيدة بالماضي الذي لا تستطيع الانتصار عليه. علاوة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

على هذا فإنه لا سبيل إلى فهمه وافياً إلا في ضوء موقفنا الأوربي الراهن والأسمى. وطبيعي إن مثل هذه النظرة أجازت للمستشرقين الأوربي وتقضي هذه النظرة بان الغرب ينهض بمهمة يعجز الشرق عن أدائها لنفسه[23].

لا شك في أن نظرة كارل ماركس (1818–1883) وإنجلترا إلى الحضارات الأخرى ومنها الحضارات الشرقيين من منطلق استعلائي واصفاً إياها بـــ (الغيرة والتآمر والجهل والفساد والجشع والنزعة القدرية والأحكام المسبقة التي تثير الغضب والتعصب القومي لدى الصينين والفضاضة العقلية الانتقامية لدى الجزائريين).[17]

أما فيتفوغل فقد استعمل مصطلحات محقرة بشكل غامض أساء استعمالها بقوله: إن الشعوب الشرقية لن تحلم بحد من الحرية والديمقراطية أو حتى بدكتاتورية البروليتارية، مسوغا ذلك بغطاء مرجعي غير موجود، ويستخلص فيتفوغل قائلا: إن وجود الجماعات القروية المنتشرة يؤلف قاعدة كافية من أجل استبداد شرقي.[24]

وقد كرس عالم الاجتماع الأمريكي بارنس في كتابه مقدمة في تاريخ علم الاجتماع فكرة الآخر الشرق في قوله: إن أية مناقشات منظمة عن الظواهر الاجتماعية لم تبدأ إلا عند اليونان؛ لأن الكتاب الشرقيين القدامى قد منعهم ظروف وسطهم الاجتماعي أن يقوموا بتعميمات عامة ذات أصالة في الرأي، إذ إن أصل النظم الاجتماعية وطبيعتها وأساس ذلك يرجع إلى أن النظام الاقتصادي السائد ونظام الطبقات المهنية المقفلة والخرفات والنظام الديني الجامل والتشريع الفني بقواعده الناتج عن حيل العقلية القديمة للتجانس، كل تلك قد أدت إلى ثبات النظم الاجتماعية وقدسيتها، بحيث لم يكن مفكر ليجرؤ على وضع نظريات واسعة عن أصل هذه النظم وطبيعتها، أو الرسائل التي عن طريقها يمكن تحسينها.[25]

5–المعايير المعتمدة في سياقات التثاقف المتميز بين الغرب والآخر الشرق:

عَمد الفلاسفة والمفكرون وكتاب التاريخ الاجتماعي في الفكر الاجتماعي الغربي القديم والحديث على إطلاق الآراء والصفات والاحكام على الآخر الشرق بسبب رغبات ونزعات وميول شخصية، لخلق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى (الشرق) وبين ما يسمى في معظم الأحيان (الغرب) إن أسلوب التفكير هذا زاد الثقافة الغربية والاوربية من قوتها ودعمت هويتها بوضعها لذاتها في مقابل الشرق باعتباره ذاتاً بديلة أو حتى دفينة.[26]. إن هؤلاء الفلاسفة والمفكرين وكتاب التاريخ الاجتماعي من الفكر الاجتماعي الغربي القديم والحديث حاولوا أن يبنوا أفكارهم وتصوراتهم باعتمادهم على عدد من المنطلقات والمعايير التي يرون أنها تمثل حداً فاصلاً بين الغرب والآخر الشرق وهي كالآتي:

5–1–المعيار العقلي:

دأب كثير من المؤرخين في الفلسفة والاجتماع والدراسات الاجتماعية على وجه العموم على إهمال الفكر الشرقي وخاصة القديم عند تاريخهم لهذه الدراسات وتعرضهم لها بالبحث. وهؤلاء إذا تعرضوا للفكر الشرقي فإنهم على أكثر تقدير يمرون بهذا الفكر مراً سريعاً، لأنه في نظرهم لا يستحق دراسة تأملية عميقة إذ ليس فيه ما يجعله ذا بال أو يستحق الذكر، وتارة أخرى بأنه لا يرقى إلى مرتبة النظريات العامة والمذاهب الكبرى على

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

غرار ما نرى في الفكر الغربي والأوربي وفي أحياء أخرى يدعون أن الفكر الشرقي لا يشمل الاّ بعض أفكار بدائية غير ناضجة.[25]

2-5-المنهج العلمي

إن الاعتقاد عند الفلاسفة والمفكرين الغربيين والاوربيين أن الفكر الشرقي لا يرقى إلى مرتبة النظريات العامة والمذاهب الكبرى على غرار ما ترى في الفكر الغربي، وفي أحيان أخرى يدعون أن الفكر الشرقي لا يشمل إلا بعض أفكار بدائية غير نموذجية [25]. لأن العقلية الشرقية لا تلتزم بقوانين المنطق وأنها تنفر من عمليات التعليل والبرهنة والتفكير المجرد، إذ تتميز العقلية الشرقية بأنها عقلية غيبية وتتجه نحو التغيير السحري وتنزع إلى ما هو فوق الطبيعي[27].

3-5 جمود التنظيم الاجتماعي

يرى عالم الاجتماع الأمريكي بارنس أن أي مناقشات منظمة عن الظواهر الاجتماعية لم تبدأ إلا عند اليونان، لكن الكتاب الشرقيين القدامى قد منتعهم ظروف وسطهم الاجتماعي أن يقوموا بتعميمات عامة ذات أصالة في الرأي حيث أصل النظم الاجتماعية وطبيعتها، وأساس ذلك يرجع إلى أن النظام الاقتصادي السائد ونظام الطبقات المهنية المقفلة والخرافات والنظام الديني الجامد والتشريع الغني بقواعده الناتج عن ميل العقلية الشرقية للتجانس، كل تلك قد أدت إلى ثبات النظم الاجتماعية وقدسيتها، بحيث لم يكن مفكر ليجرؤ على وضع نظريات واسعة عن أصل هذه النظم وطبيعتها، أو الوسائل التي عن طريقها يمكن تحسينها[25].

4-5 القيم الاجتماعية

إن المفكرين الغربيين يقدمون القيم الشرقية بطريقة معكوسة للقيم الغربية. فمقابل التغلب على الطبيعة عند الغربيين انهم يزعمون الاستسلام للطبيعة أو الغناء لها ودمجها في ذاته عند الشرقيين والتشارك معها وتكليمها باعتبارها كالكائن الحي أو قسما من الآلات الحية، وفي الشرق غيبية، وروحانية، وحدسيات، ومثالية وتصوفيات وللشرق روح خاصة، وعقل خاص ثابت وخالد ومقيد. ومقابل الحرية والمسؤولية والشعور بالشخصية الفردية واعتبار الذات للذات، عند الغرب، يضع الشرقي، كما يقولون قيمة أو مبدأ التخلي عن الذات للجماعة، والاندماج في الكلية والجمعية والمجموعة. ومن ثم فلا شعور بالشخصية الفردية، ولا الحرية وليس هناك وعي بالمسؤولية. أما المرأة فهي متعة ومتاع، أو هي شيء مشبوه. إنها قسم من الليل الشرقي لا أكثر والرجل الشرقي متابع لأفكار الغربي يتوقف عن العمل متى شبع، أو أمن لقمته. لا عقلانية، لا موضوعية، بل انفعالية ولا يعرف النظام ولا التنظيم، ولا استغلال الزمن، إذ الزمن بلا معنى عنده[7].

5-5-نمط الإنتاج

اعتمد معيار نمط الإنتاج للتمييز بين نمطيين إنتاجيين وهما نمط الإنتاج الغرب ونمط الإنتاج الآسيوي الذي جاء به كارل ماركس حيث يعتقد أن للسرق نمطاً انتاجياً بتمييز بتنظيم ممركز للوظائف الاقتيادية الأساسية بيد الدولة من ناحية وسيطرة اقتصاد ريفي يقوم على الاكتفاء الذاتي من ناحية أخرى بما يعني أن الدولة هي الإقطاعي الأساسي، وهو مارتب للمركزية الشديدة، التي أضاف إليها كل من ماكس فيبر وفيتفوجل نشوء

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بيروقراطية مركزية، ويكون الفرد فيها موضوعاً للخوف والخضوع الشاملة، ويكون البنيان الطبقي متميز الطابع، أما الطبقة الحاكمة فتمثل في بيروقراطية احتكارية[28].

6-5 –الاستبداد

درج الفلاسفة والمفكرين في الحضارة الغربية والاوربية على ترويج لآراء وتصورات تؤكد ميل الشرقيين لقبول الاستبداد والاستسلام له من الفلسفة اليونانية القديمة ضد البرقراط وأفلاطون وما قاله المعلم الأول أرسطو لتلميذه الإسكندر المقدوني بنصه بالتعامل مع شعوب الشرق باعتبارهم شعوب غير حرة، بل إن طبيعة أولئك الناس أقرب للعبيد وتنتقل هذه التصورات عن الاستبداد الشرقي عبر التاريخ من مونتسكيو ومروراً بالفيلسوف هيكل وصولاً إلى فيلسوف الاشتراكية كارل ماركس لتنتهي عند الاكاديمي كارل فيتخوجل في كتابة (الاستبداد الشرقي).[28]

6–الخاتمة

إن السيرورة التاريخية لنشأة وتطور الحضارات الإنسانية تؤكد حقيقة مهمة، إن هذه الحضارات وجدت لتتثاقف وتتفاعل وتتواصل مع بعضها لا لتتقاطع وتتنافر وتضع الحواجز التي تمنع التثاقف والاتصال مع بعضها وتزيد من عزلتها. وهذا ما حصل بين الحضارات الشرقية المختلفة والحضارات الغربية على مر العصور وإن هذا التثاقف والاتصال بين الحضارات المختلفة لا يأتي عبر بعد أو اتجاه واحد وإنما يأتي عبر تعدد الأبعاد والاتجاهات التي تعزز عملية الاتصال بين الحضارات المختلفة كالبعد الديني والاجتماعي والاقتصادي والفكري والسياسي وقد يأخذ هذا الاتصال ابعاداً مختلفة قد تكون إيجابية عبر التفاعل الاجتماعي والاقتصادي كالتجارة والنقل أو الفكري الإنساني أو ربما يكون اتصالاً سلبياً عبر الحروب والغزوات والاحتلالات التي تكون بين الحضارات لبعضها. إن مسالة التثاقف والاتصال بين الحضارات سواء كان سلباً أو ايجاباً هذا لا يعني أن هذه الحضارات هي متساوية فيما بينها من حيث قوتها وضعفها وبناءها الفكري ونموها الاقتصادي وطريقة حياتها ودرجة تطورها وانما هي متفاوتة بحسب ظروف كل حضارة مما يعني أن هذا التباين بين الحضارات سواء كان سلباً أو إيجابياً هذا لا يعني ان هذه الحضارات هي متساوية فيما بينها من حيث قوتها وضعفها وبناءها الفكري ونموها الاقتصادي وطريقة حياتها ودرجة تطورها وانما هي متفاوتة بحسب ظروف كل حضارة مما يعني أن هذا التباين بين الحضارات يولد اطراً فكرية وقوالب نمطية وتصورات أيديولوجية في العقل الجماعي لكل حضارة اتجاه الحضارات الأخرى فينقل نموذج الآخر المختلف عن هذه الحضارة أو تلك. إن السيرورة التاريخية للعلاقة بين حضارات الشرق والحضارة الغربية قد أفرزت مجموعة من التصورات والانطباعات والخصوصيات في العقل الاجتماعي الغربي التي شكلت الآخر الشرق بحيث أصبحت هذه التطورات تأخذ طابع الحقائق العملية التي لا يمكن رفضها أو قبول الشك فيها. وقد حاول الفلاسفة اليونانيين من قبل سقراط وصولاً إلى أفلاطون وأرسطو تقديم سند فلسفي للنزعة الغربية المتعصبة اتجاه الآخر الشرقي وقد استمرت السيرورة الفلسفية لهذا الاتجاه بالنمو والتراكم حتى عضدها وعززها الفكر الاجتماعي الحديث وفكر الحداثة عبر مساهمات مونتسكيو وهيكل وكارل

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ماركس وفيتقوعل وعلم الاجتماع الأمريكي بارنس إن جميع هؤلاء قد ثبتوا فكرة الآخر الشرق المختلف كلياً عن حضارة الغرب. وقد وضع هؤلاء الفلاسفة والمفكرين والعلماء عدد من المعايير واتبعوها أسسا للاختلاف بين الغرب وحضارته والآخر الشرق وحضارته، ومن هذه المعايير هي المعيار العقلي، والمنهج العلمي وجمود التنظيم الاجتماعي والقيم الاجتماعية ونمط الإنتاج والاستبداد. ان مثل هذه المعايير التي اعتمدوها إطارا فكريا باعتبارها حداً فاصلاً بين حضارتين وهما حضارة الغرب وحضارة الآخر الشرق المختلف كلياً عن حضارتهم.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

[1] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، دار الكفاء العربي، 1981.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط1، القاهرة، مكتبة الشروق، 2005.

[3] ابن منظور – لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999.

[4] اندريه لالاند – موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، المجلد الأول، الطبعة الثانية، بيروت، منشورات عويدان، 2001.

[5] الطاهر لبيب(تحرير) صورة العربي ناظرا ومنظورا إليه، الطبعة الاولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999،ص 21 .

[6] د. منتصر بيه صديق،الذات والآخر في الشعر الاندلسي،طبعة أولى،طنطا،دار النابغة للنشر، 2021، ص35.

[7] د. علي زبعور، الفلسفات الهندية، الطبعة الثانية، بيروت، دار الاندلس، 1983.

[8] ف.فون زودن، مدخل حضارات الشرق القديم، ترجمة: د. فاروق إسماعيل، دار المدى للثقافة والنشر،2003.

[9] د. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة لبنان، 1986.

[10] جيل فيربول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الأسمر، مراجعة: أ.د. بسام بركة، طبعة أولى، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2011.

[11] د. شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، الكويت، جامعة الكويت، 1981.

[12] جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، مراجعة وتقديم، محمد الجواهري، الطبعة الأولى، المركز المصري العربي للطباعة، 2000.

[13] د. متعب مناف جاسم، تاريخ الفكر الاجتماعي،الطبعة الأولى،بغداد،المركز العلمي العراقي، 2010، ص12.

[14]ar.m.wikipedia.org/wi/

[15] كرين برنتن، قصة الفكر الغربي، أفكار ورجال، ترجمة وتقديم، محمود محمود، طبعة ثانية، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2009.

[16] د. محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق، دراسة تحليلية تقويمية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[17] سالم يفوت، حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي، طبعة أولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1989.

[18] أرسطو. السياسة، ترجمة: احمد لطفي السيد، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.

[19] د. زيدان عبد الباقي، التفكير الاجتماعي نشأته وتطوره، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1976.

[20] جان ماز، الآخر لما هو اختراع تاريخي، من كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه، عزيز طاهر لبيب، بيروت، مركظ دراسات الوحدة العربية، 1990.

[21] أرسطو، السياسات، ترجمة: الأب أوغسطيس بربارة اليولسي، بيروت، اللجنة الدولية للترجمة .

[22] خوان عويتسولو، في الاستشراق الإسباني، تعريب: كاظم جهاد، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بلا سنة طبع.

[23]جي جي كلارك– التنوير الاني من الشرق، ترجمة: شوقي جلال، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد، 346، 2007.

[24] د. ميشال فاني، فيغوغل دراسة مقارنة عن الاستبداد الشرقي والسلطة الدكتاتورية، مجلة الفكر العربي، المجلد الخامس، عدد 33–34–، 1983.

[25]د. حسن شحاته سعفان، تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية، القاهرة، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع.

[26] إدوارد سعيد الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2006.

[27] د. فباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع الفرنسي، طبعة أولى، الإسكندرية، دار الكتب الجامعية، 1971، ص96.

[28] وسام فؤاد، تفكيك نظريات الاستبداد الشرقي الحالة المصرية دراسات ساسية، المعهد المصري للدراسات، 2018، ص11.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq